

التحديات التي يشكلها العنف الأسري الموجه للمرأة والطفل للتربية الإسلامية

The Challenges Posed by Family Violence against Women and Children for Islamic Education

Dr. Kausar Arshad

Assistant Professor, Arabic Department, NUML, Islamabad

Email: karshad@numl.edu.pk

ORCID: <https://orcid.org/0000-0002-8202-7295>

Dr. Abdullah Muhammad Bilal

Lecturer, Arabic Department, NUML, Islamabad

Email: ambilal76@gmail.com

ORCID: <https://orcid.org/0000-0002-2087-4966>

ABSTRACT:

Islamic education is an integrated system for the upbringing of the Muslim individual in accordance with the right and constructive values and behaviors, which stem mainly from the family that constitutes the nucleus of the Muslim community, in which family members unite in order to fold the life path on the path of Islam, in the light of love and compassion among family members, but if there is no mercy and sympathy, and rudeness, harshness and violence prevailed in the upbringing of young people and the treatment of the mistress of the house; This constitutes an obstacle and a serious challenge that hinders the process of Islamic education, and has negative effects on children and women. This domestic violence takes many forms, including: Physical violence: such as severe beatings that lead to killing, or causing permanent disabilities, and psychological violence, such as: harsh parental treatment, Reprimand, humiliation, deprivation, and material slander.

Keywords: Violence, Women, Family, Children, Education

إن الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، والصلاة والسلام على نبيه الأمين المرسل رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه، ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين... وبعد!

فقد أنزل الله سبحانه وتعالى شريعته لتكون نورا وهدى تهندي به البشرية في جميع مجالات حياتها، وليتحقق من خلالها الاستقرار والرحمة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾ فشريعة الله رحمة للعالمين، وأي طريق مخالف لها هو سبيل للفرقة وتحدي للمنهج الرباني.

إن التربية الإسلامية نظام متكامل لتنشئة الفرد المسلم وفق القيم والسلوكيات القويمة البناءة، التي تنبثق أساساً من الأسرة التي تشكل نواة المجتمع المسلم، يتكاتف فيها أفراد العائلة من أجل طي مسيرة الحياة على منهج الإسلام، في ظل التواد والتراحم بين أفراد الأسرة، ولكن إذا انعدمت الرحمة والتعاطف، وسادت الفظاظة والغلظة والعنف في تربية النشء ومعاملة سيده البيت؛ فإن ذلك يشكل عقبة وتحدياً خطيراً يعيق عملية التربية الإسلامية، ويترك آثاراً سلبية على الطفل والمرأة، ويأخذ هذا العنف الأسري أشكالاً عدة، منها: العنف الجسدي: كالضرب المبرح المؤدي إلى القتل، أو إحداث العاهات المستديمة، والعنف النفسي، مثل: المعاملة الأبوية القاسية، والتوبيخ والتحقير والحرمان والتقتير المادي.

الكلمات المفتاحية: العنف، المرأة، الأسرة، الطفل، التربية.

وقد تعددت التحديات التي واجهت التربية الإسلامية، وظلت التحديات الاجتماعية أحد أهم التحديات، وتنبع أهميتها من كون جميع التحديات تهدف في محصلتها النهائية إلى هدم المجتمع المسلم، ولما كانت الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى في البناء الاجتماعي من حيث تكوينها ونطاقها ووظائفها وعلاقتها أفرادها بعضهم ببعض، حيث يفترض بها أن تزود أعضائها بكثير من الحاجات الأساسية والتي من بينها توفير مسالك الحب والأمن والطمأنينة والاحترام بين الزوجين وبين الآباء والأبناء، فقد أصبحت نصب عين مجموعة كبيرة من التحديات الداخلية والخارجية سعياً لتفكيكها وهدم المجتمع من خلالها.

ويعتبر العنف الأسري الموجه للمرأة والطفل أحد أكثر أوجه العنف انتشاراً في المجتمع، باعتبار أن المرأة والطفل هما الفئة الأضعف داخل الأسرة، فالأطفال والنساء هم أكثر الفئات عرضة للاضطهاد والقهر.

وفيما يلي مشتملات البحث

أهداف المقال

- التعرف على العنف الأسري، وأشكاله، وتوضيح أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور هذه الأنماط السلوكية في المجتمع المسلم.
 - التعرف على أنماط التحديات التي شكلها العنف الأسري للتربية الإسلامية.
 - التعرف على بعض التحديات التي يشكلها العنف الأسري على المرأة والطفل بداية من التحدي النفسي ثم الاجتماعي.
 - هذا الموضوع يمس حياة الناس وأمنهم واستقرارهم، فلا تستقيم لهم الحياة إذا اختل هذا المقصد.
 - تصحيح الأفكار الخاطئة التي ينتج عنها العنف، ونقضها بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة.
- تشتمل هذه الدراسة على مقدمة ومبحثين وخاتمة

أما المقدمة: فتشتمل على أهمية الموضوع وخطة البحث ومنهجه

المبحث الأول: مفهوم التحديات وأهداف التربية الإسلامية

المبحث الثاني: التحديات الاجتماعية

الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: مفهوم التحديات وأهداف التربية الإسلامية

أولاً: مفهوم التحديات

لغة: أصل مادة "التحدي" مشتق من معنى المنازعة والغلبة بين طرفين فأكثر. قال الجوهري في الصحاح: "تحديت فلانا: إذا باربته في فعل، ونازعته الغلبة، ويقال: أنا حديك: أي ابرز لي وحدك"^(٢). اصطلاحاً: يعرف التحدي في الاصطلاح بأنه: "الوقوف أمام الشيء، ومنعه من السير في خطاه التي رسمها لنفسه"^(٣).

نقول التحديات: هي مجموعة الاتجاهات والسلوكيات المخالفة للقيم والمبادئ الإسلامية التي يمكن أن تعيق التربية الإسلامية عن القيام بدورها في بناء الإنسان المسلم، أو تعمل على تهديد هذا الكيان الإنساني، وبالتالي تنعكس آثارها على المجتمع المسلم بأكمله.

ثانياً: التربية الإسلامية مفهومها وأهدافها

١ - تعريف التربية الإسلامية:

يتم تعريف التربية الإسلامية بأنها: "التنظيم النفسي والاجتماعي الذي يؤدي إلى اعتناق الإسلام وتطبيقه كلياً في حياة الفرد والجماعة"^(٤).

وتعرف بطريقة أكثر شمولية وتكاملاً بأنها: "تلك العملية التي ترتبط عناصرها في إطار فكري واحد، يستند إلى المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام، والتي ترسم عدداً من الإجراءات والطرائق العلمية، يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك الفرد سلوكاً يتفق مع عقيدة الإسلام"^(٥).

وتضح مما سبق أن التربية الإسلامية قد تميزت عن غيرها من مناهج التربية بميزات منها:

١. قيامها بشريعة الله، وسعيها لتحقيق منهجه.
 ٢. حرصها على تناول الجوانب المختلفة للشخصية الإسلامية بالرعاية والاهتمام بشكل متوازن.
 ٣. احتواؤها على مجموعة من الأساليب التي سبقت بها مدارس علم التربية الحديثة.
 ٤. سعيها الدؤوب لتحقيق أهداف تربية إسلامية عديدة ضمن إطار الفرد والمجتمع.
- وقد جاء تعدد تلك الأهداف ليشمل جميع مراحل حياة الإنسان، بما يحقق له كافة احتياجاته، وينظم شؤون حياته المختلفة وفق منهج رباني شامل ومتكامل، وسيتم عرض بعض هذه الأهداف.

بعض أهداف التربية الإسلامية:

- ١ - ترسيخ العقيدة الإسلامية في نفس النشء وسلوكه: سعت التربية الإسلامية إلى غرس مبادئ وأصول العقيدة الصحيحة في النشء، ومن ثم تقويتها في وجدان الفرد وسلوكه.
 - ٢ - توجيه العقيدة لأخلاق وقيم وسلوك الفرد المسلم: شكلت الأخلاق الإسلامية أحد أهم المحاور الأساسية لأهداف التربية الإسلامية بعد العقيدة، إذ سعت هذه الأخلاق إلى تنشئة أفراد المجتمع المسلم على الفضائل الظاهرة والباطنة مع حرصها على اتخاذ هذه الفضائل منهجاً للحياة، بتطهير النفس أولاً من جميع الرذائل الأخلاقية والإرادات الشريرة، ثم بتحليلتها بالمبادئ والقيم والعادات الخيرة والحسنة.
 - ٣ - تحقيق النمو النفسي السليم والمتزن للفرد المسلم: وذلك بإشباع حاجاته النفسية المتعددة وسط بيئة مستقرة وقادرة على العطاء، وحفظ الفرد من تنازع الدوافع والانفعالات المختلفة.
 - ٤ - بناء المجتمع المسلم القائم على الأسس والقيم الإسلامية، والمحقق لها، حيث يشكل هذا الهدف المحصلة الأخيرة لجميع أهداف التربية الإسلامية التي سعت إليها؛ ليتحقق من خلالها استقرار الفرد والمجتمع وفق المنهج الرباني، والخلافة المرجوة في الأرض، فسعت إلى إقامة مجتمع قوي البنين مترابط الأنساق، تتماثل في العلاقة بين أفرادها قيم الرحمة والتكافل، والعدل والمساواة، والأخوة الإسلامية، والحماية والدفاع عن الدين، ونبذ طرق ومسالك الفرقة والنزاع والتباغض والعنف.
 - ٥ - تحقيق النمو الجسدي الصحي، وحماية الجسد من المفسد والمضار المادية والمعنوية: تميزت التربية الإسلامية بتحقيقها للتوازن بين الجسد والروح في الرعاية والاهتمام، ومن أجل هذا سعت إلى تحقيق الرعاية الصحية للفرد المسلم من الناحية الجسمية والنفسية باستخدام طرق الوقاية من أي مؤثرات ضارة في المقام الأول، ثم بالحرص على توجيه المسلم وإرشاده إلى وجوه استخدام الصحة والطاقة الجسمية فيما يرضي الله، ويخدم عباده، وفيما يحفظ نفسه ونفوس المسلمين من التعدي أو الظلم.
- ويعد العنف الجسدي الأشد تعبيراً عن مفهوم الاعتداء والعنف، فلا يكاد يخلو أي شكل من أشكال العنف الأخرى من عنف جسدي إما سابق لها أو لاحق بها، وربما تظهر بعض الدراسات أنه الأكثر انتشاراً، وذلك لأن آثاره ملموسة وهي الأكثر وضوحاً من آثار الأشكال الأخرى للعنف.
- وتتدرج أشكال هذا العنف الجسدي بين البسيط والمتوسط والشديد تبعاً للأضرار الناتجة عنه، ففي مجال العنف الأسري الموجه للزوجة ذكرت دراسة محمد الشناوي: أن أعلى نسبة لجرائم القتل داخل

الأسرة كانت من نصيب الزوجة بنسبة (33,73%)^(٦). وكذلك أكدت دراسة مصطفى التير: أن نسبة الزوجات اللاتي تعرضن إلى كمية عنف عالية أكثر من نسبة اللاتي تعرضن إلى كمية عنف منخفضة^(٧). أما مجال العنف الموجه للطفل فتذكر الدراسة الميدانية لمنيرة آل سعود: أن أكثر أنواع حالات إيذاء الأطفال التي تعامل معها الممارسون المهنيون في المستشفيات، هي حالات الأطفال المتعرضين للإيذاء البدني. وقد أشارت هذه الدراسة إلى أن من أهم آثار العنف الجسدي على الطفل ما يلي:

- وفاة الطفل: حيث يعد الطفل المتعمد أو الموت بسبب العنف أكبر الآثار الناتجة عن إيذاء الأطفال، وكلما قل عمر الطفل كلما زاد احتمال تعرضه للخطر بصورة أكثر. ويعود ذلك إلى أن الأطفال الأصغر سنا هم الأكثر حساسية، كما أنهم غير قادرين على البحث عن المساعدة في أماكن أخرى^(٨).

- الآثار والإصابات البدنية على الطفل: كما يؤدي الإيذاء البدني للطفل إلى أحداث العديد من الأضرار الجسدية والنفسية، ومن ذلك: "الإعاقات والأضرار الجسدية المزمنة، وتباطؤ النمو الجسدي، والتضررات في أعضاء الحس، والاضطرابات اللغوية، والاضطرابات الحركية، والاضطرابات الانفعالية، والسلوك العدائي ضد الآخرين والذات، والمتلازمات الاكتئابية، واضطرابات النمو الجنسي^(٩).

وقد اهتمت التربية الإسلامية برعاية الجانب الجسدي، بل إن الاهتمام المتوازن بالجانب الجسدي والروحي كان من أكثر ما ميزها عن غيرها من مناهج التربية، فهي لم تكتف بالحرص على سلامة الجسم والحث على المحافظة عليه، بل حرصت على تقوية هذا الجسم، والتأكيد على استخدام الجوارح فيما يرضي الله تعالى، وينفع المسلمين، فللتربية الإسلامية وسيلتان لتوجيه الطاقات الجسمية:

أولاهما: توجيهها نحو كل ما يرضي الله، ويخدم الفرد والمجتمع، من إغاثة الملهوف، وإعانة الكل، والجهاد في سبيل الله.

وثانيتهما: كفها عن كل ما يعضب الله، ويضر بالفرد والمجتمع، مع تشريع العقوبات الرادعة لكل بطش أو أذى أو اعتداء يقوم به أي إنسان مهما بلغت قوته أو مكانته^(١٠).

فإذا كانت هذه بعض أهداف التربية الإسلامية وغاياتها في بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة جسدا وروحا، كان العنف الجسدي تحديا وعائقا أمام تحقيقها لهذه الأهداف، والوصول لتلك الغايات.

المبحث الثاني: التحديات الاجتماعية

تهدف التربية الإسلامية إلى إقامة المجتمع المسلم على أسس من قوة العلاقة القائمة على المودة والرحمة بين أفرادها، ووفق قول رسول الله ﷺ: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى))^(١١)، فالمجتمع المسلم كيان

واحد قائم على قوة العلاقات المبنية على المودة والرحمة بين أفرادها. وتحقيق المودة والرحمة يتم بكل ما يمكن أن يحقق الخير للفرد والمجتمع، في حين تضعف روابط المودة والرحمة إذا ما أثر على علاقة الأفراد شيء من العدوان أو الظلم؛ لذلك نهي رسول الله ﷺ عن مجموعة من السلوكيات هي في مجملها عدوان على حقوق الآخرين وهدر لكرامتهم وتمزيق للروابط الاجتماعية التي حرصت عليها التربية الإسلامية. قال رسول الله ﷺ: ((لَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا وَلَا يَجِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ))^(١٢).

والأسرة هي المصدر الأول لتكوين هذه الروابط الإيجابية، "فبما أن التربية الاجتماعية تبنى على أساس عواطف اجتماعية أهمها المحبة، فالمحبة تنبع من تربية الأبوين للناسئ، فإن وهبها ما يحتاج من الحب والعطف والعناية أصبح لديه استعداد لمحبة الآخرين، وإن لم يرويا هذه الحاجة إلى الحب، ظهر لديه الشذوذ والتبرم والسخط على الآخرين"^(١٣).

ويعرف التحديات الاجتماعية بأنها: مجمل النتائج السلبية التي تشكل انحرافاً وتهديدا لأنساق المجتمع، والناجمة عن سيطرة أنماط القسوة والعنف على العلاقات الأسرية، والتي تمثل في جوهرها عائقاً لأهداف التربية الإسلامية في تحقيق مسلم مستقر ومتماسك.

وتأخذ هذه التحديات الاجتماعية مظاهر عدة، يكتفى بذكر جانبين منها، يمثل الجانب الأول أحد أهم آثار العنف الأسري الذي يمكن أن ينتج للمجتمع، والمتمثل في تفكك الأسرة وانحلال بنائها كنتيجة للعنف الأسري، وانعكاس ذلك على ترابط المجتمع. ويمثل الجانب الآخر تأثير العنف الأسري على سلوك الأبناء وانحرافهم اجتماعياً، وهذان الاتجاهان هما: التفكك الأسري، جنوح الأحداث، وسيتم مناقشة كل اتجاه على حدة فيما يلي:

أولاً: التفكك الأسري: الأسرة هي وحدة التكوين الأولى للمجتمع، وبتماسك هذه الوحدة يتحقق تماسك المجتمع، فطالما كانت الأسرة على قدر كبير من التماسك والاستقامة صلحت شؤون المجتمع واستقامت أموره، ويتحقق التماسك في الأسرة إذا ما ساد الوفاق بين الزوجين، وامتد ظله على باقي أعضاء الأسرة، فأصبح جو الطمانينة والاستقرار هو السائد في الأسرة بما يحقق الراحة النفسية لأفرادها، ويحميهم من مؤثرات الانحراف، ويدعم تماسك الأسرة وقوة صلابتها.

ويعرف التماسك الأسري في علم الاجتماع بأنه "زيادة العلاقات الموجبة التي تدور في المحيط الداخلي للجماعة، فكلما ازدادت العلاقات ازداد تماسك الجماعة، وكلما تشتتت هذه العلاقات، واتجهت نحو الجماعة الخارجية ضعف التماسك الداخلي"^(١٤)، ويتحقق التماسك الأسري عبر خمسة مقومات أساسية:

- **المقوم البنائي:** ويتطلب وجود أسرة متكاملة من أب وأم وأبناء وغيرهم إن وجد.
- **المقوم العاطفي:** ويعتمد على ما يسود الأسرة من عواطف إيجابية تربط بين جميع أعضائها، المقوم في الحب والتقدير والاحترام المتبادل.
- **المقوم الاقتصادي:** ويتمثل في قدرة الأسرة على إشباع الحاجات المادية لأفرادها المنتمين إليها، بحيث يشعر الفرد بالأمن والسعادة لانتمائه إلى هذه الأسرة.
- **المقوم الديني:** وهو أهم المقومات التي تؤدي إلى زيادة التماسك والوحدة بين أعضاء الأسرة، ويزيد من تماسك الأسرة فكريا ومعنويا وبقائها من التفكك والانحراف.
- **المقوم الصحي:** ويقوم على مدى خلو الأسرة من الأمراض المختلفة، وخلوها من الأمراض الوراثية على وجه الخصوص، ومدى قدرة أفرادها على الترابط والتماسك ومواجهة أزمات المرض وما تخلفه من تبعات^(١٥).

وبناء على ما سبق فإن أي خلل أو قصور في أحد هذه المقومات يمكن أن يدفع بالأسرة إلى التفكك، ويمتد تأثير ذلك إلى المجتمع؛ فالمجتمع يتكون من وحدة متكاملة من الجماعات والمؤسسات التي تسعى لتحقيق هدف محدد ضمن نظام مرتب له، والأسرة تظل أكثر هذه المؤسسات تأثيرا على الفرد وعلى وحدة المجتمع، بما يقع على عاتقها من أدوار ومسؤوليات نحو الفرد والمجتمع، ومن خلال استمرارها وقوتها تستمد التنظيمات الاجتماعية الأخرى قدرتها على الاستمرار والمواجهة، وفي المقابل فإن أي تفكك في مؤسسة الأسرة ينعكس أثره سلبا على تماسك المجتمع وترابطه.

وقد تعددت التعريفات التي توضح مفهوم التفكك الأسري، فنجده يُعرف بأنه "أي وهن أو سوء تكيف وتوافق أو انحلال يصيب الروابط التي تربط الجماعة الأسرية كل مع الآخر، سواء أكان هذا الوهن بين الوالدين أم بينهما وبين الأبناء، أم بين الأبناء فيما بينهم"^(١٦)، وكما نرى فإن التعريف السابق يشير إلى التفكك الأسري باعتباره نوعا من الضعف الذي يطرأ على العلاقات الأسرية، دون أن يوضح ماهية هذا الضعف والوهن. وهو ما تشير إليه تعريفات أخرى بأنه "اختلال السلوك في العائلة، التربية العائلية الخاطئة، حالات الخصام العائلي بين الوالدين، حالات وفاة أحد الوالدين أو كليهما، حالات الانفصال (طلاق أو هجر) بين الوالدين"^(١٧)، وفي ضوء ذلك يأخذ التفكك الأسري أحد الوجهين التاليين:

- ١ - **التفكك الاجتماعي للأسرة:** يحدث في حالة وفاة أحد الوالدين أو كليهما أو الطلاق أو الهجر، ويضيف بعضهم جميع العوامل التي يمكن أن تؤدي إلى الغياب الطويل لأحد أفراد العلاقة.

٢ - التفكك النفسي للأسرة: ويحدث في العائلة التي يسودها جو المنازعات المستمرة بين أفرادها، وخاصة بين الوالدين، حتى ولو كان جميع أفرادها يعيشون تحت سقف واحد، وكذلك يشيع فيها عدم احترام حقوق الآخرين ويضيف لها آخرون الإدمان على المسكرات أو المخدرات أو لعب القمار^(١٨).
أسباب التفكك الأسري:

تتعدد الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى تفكك الأسرة، وانهايار العلاقات داخلها، وضعف أو اصر المجتمع كنتيجة متوقعة لذلك، كما أن الفصل بين الأسباب يظل أمرا نظريا فقط، ويكتفى بذكر طائفة من الأسباب التي يرى الباحث أنها ذات علاقة بموضوع الدراسة على النحو التالي:

١ - المشكلات الأسرية:

تقوم الأسرة في تكوينها البنائي على فردين تربط بينهما علاقة شرعية تتسم بمد مناسب من التوافق يسمح باستمرار هذه العلاقة، ويعطيها قدرا من الترابط والثبات في فترات الأزمات، فإذا ما أصيبت هذه العلاقة بنوع من التنافر والتباين أو حتى الفتور فإن ذلك يمثل تهديدا للعلاقات الأسرية الأخرى وللبناء الأسري بشكل عام، "فقد تتخلل الحياة الأسرية مشكلات تؤدي إلى اضطراب العلاقات بين الزوجين، مما يهدد استقرار الجو الأسري والصحة النفسية لكل أفراد الأسرة، ويصدر النزاع والشجار عن أزواج غير متوافقين مع الحياة الزوجية، نظرا إلى عدم وضوح دور كل منهما، وتفكك شبكة العلاقات بينهما، ويعد النزاع والشجار المتكرر بين الزوجين عاملا رئيسا في التفكك الأسري"^(١٩).
ولتوتر العلاقة الزوجية عدة أسباب يساهم طرفا العلاقة الزوجية في تكوينها وتطويرها، فتمسك أحد الزوجين بآرائه مع رغبته الدائمة في فرض هذه الآراء، والجنوح إلى السيطرة والقسوة في معاملة الطرف الآخر أو التقصير والإهمال، والتقليل من احترامه وأهميته له، والتعدي عليه ماديا أو معنويا، جميعها عوامل لا بد وأن تدفع بالعلاقة إلى حد التوتر والتفكك، "فقد يحدث أن يقف كل من الزوجين من الآخر موقف الند للند غير عابئ بوحدة الأسرة وضرورة تماسكها، ويتمسك كلاهما بالأطراف المتناقضة، ومن ثم تتصادم المواقف، وتتعارض الاتجاهات، وتتأزم المعاملات، وتشتد حالة التوتر، وتندر بانتهيار بنيان الأسرة"^(٢٠).

وقد تزيد البيئة الخارجية المحيطة بالزوجين في توتر العلاقة بينهما، كأن يكتسب أحد الزوجين خبرات سيئة، أو يتعرض لمثيرات سلبية تسهم في توتر العلاقة الزوجية وتقويض بناء الأسرة. فتبني أحد الطرفين لاتجاهات مختلفة من مصادر خارجية مؤثرة على الأسرة، والوقوف في وجه كل ما من شأنه أن يغيرها يزيد من حدة التوتر، ويدفع بكل طرف للتقصير في واجباته، والتعدي على الآخر بشكل يؤثر على وحدة الأسرة وتماسكها.

ولا تقتصر خطورة هذه المنازعات على توتر العلاقة بين الزوجين وزعزعة استقرار الأسرة، بل قد تمتد في تأثيرها إلى الأبناء، فتؤدي إلى اضطراب في تكوينهم النفسي والشخصي، وذلك لأن الطفل يتأثر بالجو النفسي المحيط به، فإذا ما اتسم هذا الجو بالاضطراب والعجز عن تحقيق الاستقرار وإشباع الحاجات النفسية فإن الطفل سيبحث عن بديل يحقق له هذا الإشباع، وقد يتمثل هذا البديل في جماعة رفاق يحقق معها ذاته بغض النظر عن سلوكياتها، "كما أن تكرار النزال بين الوالدين على مرأى من الأبناء ينعكس على نموهم النفسي، وقد يكون سببا في حالات التمرد والعصيان على الوالدين، الأمر الذي يؤدي إلى إحداث شرح بين الآباء والأبناء، وشيوع الفوضى داخل الأسرة الواحدة، قد تنتهي بتفريق شمل الأسرة، وتشرذم الأبناء وضياعهم، والشعور بالكراهية والحقد والرغبة في الانتقام من الوالدين والمجتمع بشكل عام" (٢١).

٢ - فشل الوالدين في التنشئة الأسرية السليمة لأبنائهم:

الأسرة هي المسؤول الأول عن عملية التنشئة والتطبيع، فمن أهم وظائفها إشباع الحاجات، وتنمية القدرات، وتنشئة الأبناء، واكسابهم القيم والمبادئ والسلوكيات التي يرضيها المجتمع، وأي عجز أو قصور في هذا الدور يؤدي إلى خلل في قدرة الأسرة على الاستمرار والتماسك في حين إن المناخ الأسري المضطرب والمتصدع يعتبر عاجزا عن الإشباع السوي للحاجات المختلفة للأبناء، كما أن فشل الوالدين وانغماسهما في الخلافات وعجزهما عن أداء دورهما الرئيس في تنشئة الأبناء كثيرا ما يؤدي إلى سوء التوافق النفسي والاجتماعي لهؤلاء الأبناء، ويدفعهم نحو السلوكيات الجائحة وغير المقبولة اجتماعيا، الأمر الذي يفضي إلى حالة من التفكك والتصدع الأسري (٢٢).

ويتضح مدى تأثير العنف الأسري وتوتر العلاقات على بناء الأسرة وتماسكها، وكيف يمكن أن يؤدي إلى تفكك الأسرة التي تشكل وحدة البناء الأولى للمجتمع، مما ينذر بتفكك البناء الاجتماعي كله وتصدعه.

ولا تقف آثار التفكك عند هذا الحد، بل تتعداه إلى جوانب اجتماعية ونفسية أخرى، والأبناء هم أكثر من يتأثر بالتفكك الأسري، لكونهم الطرف الأضعف في العلاقات الأسرية، والأكثر احتياجا للرعاية والحماية، حتى لا يصبحوا عرضة للانحراف وتبني اتجاهات سلوكية سلبية ومعادية للأسرة والمجتمع، ولعل أهم هذه السلوكيات ما يمكن أن ينتج عن العنف الأسري من جنوح الأبناء.

ثانيا: جنوح الأحداث

يولد الطفل وهو ذو تكوين خال تماما من الإيجابيات والسلبيات السلوكية، ثم تتكون توجهاته وقيمه عبر عدة طرق، لعل أهمها ما يكتسبه من خلال الملاحظة والتقليد والمحاكاة، وما يكتسب من خلال

مهارته في التعايش مع الأفراد ومسالكه الاجتماعية، وتؤثر أنماط التربية التي ينتهجها الوالدان في تكوين سلوك الطفل، وقد تدفع بعض هذه الأنماط بالطفل إلى انتهاج سلوكيات خاطئة عديدة لعل أهمها السلوك الجانح، فمن هو الفرد الجانح؟.

يتم تعريف الفرد الجانح بأنه: "ذلك الفرد الذي تعرض للمؤثرات بيئية من نوع ما، أو لأسلوب من التربية والعلاقات الوالدية أو الاجتماعية غير السوية، مما أدى إلى تعليمه مجموعة من العادات والاتجاهات، توجهه في مسارات مضادة للمجتمع، والعدوان على الآخرين بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، شريطة أن يتكرر ذلك" (٢٣).

ويتضح أن الجنوح مشكلة تربوية اجتماعية، فالفرد الجانح يقوم بسلوكيات لا يرضيها المجتمع، نتيجة تعرضه لأنماط من التنشئة الوالدية غير السوية، أو نتيجة لتواجهه في بيئة اجتماعية ذات تأثير سلبي، وتأخذ هذه السلوكيات التي لا يرضيها المجتمع أشكالاً عدة، "كالكذب المرضي، والسرقة والنشل والتزيف، والتخريب والشغب والخطورة على الأمن، والهروب من المنزل والمدرسة والفشل الدراسي، والتشرد والبطالة، والعدوان والتمرد وعدم ضبط الانفعالات وغير ذلك من ألوان السلوك الإجرامي" (٢٤). وقد سبقت الإشارة لدى تناول التحديات السابقة إلى أن العنف الأسري يمكن أن يكون شخصيات تتصف بسلوكيات غير سوية مثل الكذب والسرقة والعدوان والتدمير، أما هروب الطفل من المنزل فيمثل مشكلة إضافية. فالطفل حينئذ سيصبح عرضة لتأثير بيئة خارجية تنقصه المعرفة والتدريب الكافي لطرق المواجهة داخلها، ومع ذلك يقبل هذا الطفل بالتعايش والتأقلم داخل إطارها بشكل غير سوي غالباً، ولكنه يمثل له الوضع الأفضل في ظل ما يتعرض له داخل المنزل من عنف وقسوة. فما هي الأسباب التي تدفع به إلى ذلك؟

أسباب الجنوح:

تعددت وجهات نظر العلماء في الأساليب التي تفسر جنوح الأحداث تبعا لتعدد الزوايا التي ينظر منها إلى الجنوح باعتباره مشكلة اجتماعية تربوية وخلقية ذات جذور نفسية تظهر غالباً نتيجة لأساليب التنشئة الخاطئة التي يمكن أن يتبعها الوالدان مع أبنائهم، كما يمكن أن تنتج عن عوامل أخرى، وهذه بعض من الأسباب:

١ - أسلوب الرفض: قد يحمل بعض الآباء والأمهات شعوراً خفياً بالرفض تجاه طفل من أطفالهم، وقد يظهر هذا الرفض في سلوكهم وتعاملهم مع هذا الطفل بشكل ظاهر أو مستتر، مما يشعره بالغيرة في عالمه الأسري، ويدفعه إلى رفض هذا العالم والبحث عن بديل له، "فيلجأ إلى فرض نفسه بالعدوان على المجتمع المحيط به، ويصعب عليه أن يحترم العرف والتقاليد أو القوانين بسبب طول ما عانى من الرفض

والإهمال، فيدخل بذلك في دائرة الأطفال الجانحين المنحرفين^(٢٥)، وهو ما دعمته نتائج الدراسات حيث أثبتت أن (٦٠%) من الجانحين هم ممن تعرض لأسلوب الرفض^(٢٦).

٢ - أسلوب القسوة: يعتبر أسلوب القسوة في التعامل مع الأبناء من أكثر الأساليب التي يمكن أن تسبب اضطراباً نفسياً للطفل، وتجعله ينتهج أسلوباً غير سوي، فاتباع قواعد تربية صارمة مع الناشئة وعدم التعامل معهم باحترام، وكأفراد يتمتعون بكيان خاص ولهم حرية شخصية وحق بالاختلاف، والسماح بالقيام بمبادرات فردية قد لا تستجيب بالضرورة لقواعد الجماعة، والنظر إليهم كقاصرين يجب تنشئتهم وفق مقاييس تطالب بالتنشئة والتقليد، وتقوم على استخدام العنف والإذعان والطاعة وعدم فتح المجال أمامهم للتعبير عن مشاعرهم، وما يراود أذهانهم من خواطر وتساؤلات. كل ذلك من شأنه أن يؤثر على الصحة النفسية للأبناء ويدفعهم إلى الجنوح.

٣ - العلاقات الأسرية المضطربة، والجو الأسري المشحون: تؤثر طبيعة العلاقات داخل الأسرة في قيم وسلوكيات الطفل، حيث يكتسب الكثير من طرق التعايش من خلال ما يشاهده من أنماط سلوكية في أسرته، وقد يعيش الطفل في بيئة أسرية تسود مشاعر الكراهية بين أفرادها، كحالات الشجار الدائم والعنف والنفور بين الوالدين، والعراك والغيرة بين الأبناء.

فيعاني هؤلاء من مجموعة من الاضطرابات النفسية نتيجة للظروف غير المستقرة التي يعيشون فيها، وقد يمثل هذا الاضطراب في الشعور بالقلق الدائم، وسيادة مشاعر الكراهية للآخرين، والاستعداد للعدوان عليهم كنتيجة متوقعة لأثر الجو الذي يعيشون فيه، والمشحون بالمنازعات والكراهية والعدوان، مما يشكل تمهيداً لانحرافهم السلوكي، وقد يؤدي بهم في يوم من الأيام إلى الوقوف موقف الاتهام أمام محاكم الأحداث بسبب تكرار عدوهم على الآخرين^(٢٧).

٤ - الاضطرابات العاطفية: يعتبر النمو العاطفي أحد أهم الجوانب التي تشكل شخصية الطفل، وتأخذ هذه الأهمية أفضاها في سنوات الطفولة المبكرة، ويشكل الإشباع العاطفي أحد أهم الجوانب التي يجب على الأسرة تحقيقها؛ لما لها من أهمية في التوازن والاستقرار النفسي للطفل، وتتطبعه بقيم واتجاهات المجتمع، "ويؤدي اضطراب عواطف الحدث إلى انحرافه وجنوحه لأن الطفل بطبيعته رقيق الحس، وأقل شيء يرضيه ويفرحه، أما إذا قوبل بالجحود والتنكر وأسيء استغلال براءته فإن ذلك سيؤدي إلى أن يضطرب عاطفياً، ويشعر بالقلق والتبرم وعدم السعادة، ولاشك أن هذه الحالة غير السوية تؤدي به إلى الانحراف والجنوح"^(٢٨).

ومما سبق يتضح مدى خطورة أساليب التنشئة المتسمة بالعنف والرفض وأثرها في تكوين سلوكيات ضارة بالمجتمع، كما أن للعنف بين الزوجين أثره الظاهر في تبني الأبناء لسلوكيات العنف، بما يشكل تحدياً

للمجتمع المسلم وللتربية الإسلامية التي تسعى إلى حفظ المجتمع ورعاية أفرادها، وتحرص على "أن تضرب الأسرة المثل الطيب للأبناء في السلوك الاجتماعي السليم القائم على مبادئ الدين وقيمه من خلال تعويد الأبناء بالتدريج على الاعتماد على النفس وعلى تحمل المسؤولية وتقدير الواجب، إضافة إلى توجيه سلوك الأفراد الاجتماعي في إطار توقعات المجتمع ومتطلبات تقدمه التي لا تتعارض مع تعاليم الإسلام" (٢٩).

ويمكن تلخيص ما سبق فيما يلي:

١. أن التربية الإسلامية سعت لتحقيق أهدافها في تكوين الشخصية المسلمة المتكاملة عقدياً وأخلاقياً ونفسياً واجتماعياً، كما سعت إلى مواجهة أي تحدٍ يمكن أن يعيقها عن تحقيق هذه الأهداف.
٢. مثل العنف الأسري الموجه للمرأة والطفل تحدياً نفسياً للتربية الإسلامية من خلال ما شكله من اضطرابات ومشكلات نفسية على المرأة والطفل. كما شكل العنف الأسري الموجه للمرأة والطفل تحدياً اجتماعياً للتربية الإسلامية من خلال ما ساهم به في تكوين مشكلات اجتماعية، كان أبرزها التفكك الأسري وجنوح الأحداث.

وقد خلصت من هذا البحث إلى النتائج التالية:

١. أن العنف الأسري أصبح أحد أنماط السلوك الظاهرة في المجتمع، وقد شمل هذا السلوك أشكالاً، وأوجهاً عدة سعت نظريات مختلفة لتفسيرها، وهي في أساسها سلوكيات ناتجة عن أسباب عدة.
٢. أن العنف الأسري الموجه للمرأة والطفل قد شكل تحدياً نفسياً واجتماعياً للتربية الإسلامية.
٣. أن التربية الإسلامية قد سعت لمواجهة التحديات المختلفة التي شكلها العنف الأسري الموجه للمرأة والطفل، عبر الأسرة أولاً باعتبارها مؤسسة التربية الأولى ثم المدرسة.
٤. أن المنهج الإسلامي المتمثل في التشريعات الإسلامية وطرق ومناهج التربية الإسلامية ومؤسساتها قادر بإذن الله على مواجهة التحديات، بما فيها تحديات العنف الأسري الموجه للمرأة والطفل، إذا ما تم تفعيل دور التربية الإسلامية عبر المؤسسات الاجتماعية المختلفة.

التوصيات:

- أ- أن تحرص الأسرة المسلمة على تربية أبنائها وتنشئتهم التنشئة الإسلامية القائمة على القيم والمبادئ المستمدة من كتاب الله ومن الهدى النبوي ومن التراث التربوي، بما تحويه من قيم المودة والرحمة والأخوة الإسلامية، واحترام الآخر.

- ب- أن تتجنب الأسرة الأساليب التربوية التي تعزز العنف، كأسلوب التمييز بين الأبناء، وأسلوب التوجيه باستخدام القسوة والشدة، أو التذبذب والإهمال، وأن تعتمد بدلا من ذلك على أساليب التنشئة السوية القائمة على الحوار التواصل وإشباع الحاجات المختلفة.
- ت- أن يحرص كلا الزوجين على الحصول على قدر كافٍ من التوعية في مجال التربية الأسرية، وحقوق وواجبات الزوجين، وأن يحرصا كذلك على الحصول على قدر كافٍ من التوعية في مجال التربية الأسرية، وحقوق وواجبات الزوجين، وأن يحرصا كذلك على الحصول على تدريب في الأساليب الفاعلة للتعامل مع الضغوط وطرق إزالة المشاعر السلبية، وطرق وأساليب التربية السوية للأبناء.
- ث- أن يحرص كلا الزوجين على تقديم نماذج طيبة للعلاقات الإنسانية الحميمة، حتى يتكون لدى الأبناء اتجاهات إيجابية سوية نحو التفاعل السوي.
- ج- الحرص على إعداد برامج تربوية متنوعة تركز على أهمية الأخلاق الإسلامية فكريا وسلوكيا، وضرورة التفاعل الإيجابي البناء مع الآخرين.
- أن يتم اعتماد تقرير منهج للتربية الأسرية ومنهج للصحة النفسية، إضافة إلى منهج للأخلاق والآداب الإسلامية في التعامل كمادة أساسية ضمن خطة تدريس المراحل الدراسية المختلفة.

(References)

- (١) الأنبياء: ١٠٧
- (٢) الجوهري إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين بيروت، ص: ٢٣١٠
- (٣) المغراوي محمد عبد الرحمن، العقيدة السلفية ومسيرتها التاريخية وقدرتها على مواجهة التحديات، رسالة الدكتوراه مقدمة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٠٦هـ، ص: ١٥
- (٤) النحلاوي عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر دمشق، ١٤٢١هـ، ص: ٢١
- (٥) الخطيب محمد شحات، الفزاني فتحة محمد وآخرون، أصول التربية الإسلامية، ط٢، ١٤٢١هـ، دار الخريصي للنشر والتوزيع الرياض، ص: ٤٢
- (٦) الشناوي محمد محروس، جريمة القتل داخل العائلة، المجلة العربية للدراسات الأمنية، مج٤، العدد٧، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، ١٤٠٩هـ، ص: ٨٧١
- (٧) مصطفى عمر التير، العنف العائلي، مركز الدراسات والبحوث بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٤١٨هـ، ص: ١٠٢

- (٨) منيرة عبد الرحمن آل سعود، إيذاء الأطفال أنواعه وأسبابه وخصائص المتعرضين له: تحديات لمهنة الخدمة الاجتماعية، رسالة دكتوراه، مقدمه لجامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم الدراسات الاجتماعية، الرياض، ١٤٢٠هـ، ص: ٤٨ - ١٦١
- (٩) سامر جميل رضوان، الصحة النفسية، دار المسرة، عمان، ١٤٢٢هـ، ص: ٢٧٧
- (١٠) النحلاوي عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ص: ١١٧
- (١١) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: ٥، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين، ح: ٢٥٨٦، ص: ١٣٩٦
- (١٢) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم التحاسد، ح: ٢٥٥٩، ص: ١٣٨٤
- (١٣) النحلاوي عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية، ص: ١٨١
- (١٤) بدوي أحمد، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص: ٨٦
- (١٥) رمضان السيد، إسهامات الخدمة الاجتماعية في مجال الأسرة والسكان، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٤١٩هـ، ص: ٨٠ - ٩٣
- (١٦) محمد عاطف غيث، المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي، دار المعرفة الجامعية، ١٤٠٨هـ، ص: ١٦١
- (١٧) جعفر عبد الأمير الياسين، أثر التفكك العائلي في جنوح الأحداث، عالم المعرفة بيروت، ١٤٠١هـ، ص: ٢٥
- (١٨) المرجع السابق، ص: ٢٦
- (١٩) التل شادية، عبد المجيد مسعود وآخرون، التفكك الأسري دعوة للمراجعة، كتاب الأمة، العدد ٨٥، السنة الحادية والعشرون، الدوحة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٢هـ، ص: ٣٨ - ٣٩
- (٢٠) الخشاب مصطفى، دراسات في الاجتماع العائلي، دار النهضة العربية بيروت، ١٤٠٥هـ، ص: ٢٢٩
- (٢١) التل شادية، التفكك الأسري دعوة للمراجعة، ص: ٣٩ - ٤٠
- (٢٢) المرجع السابق، ص: ٤٢ - ٤٦
- (٢٣) الهمشري محمد علي قطب، مشكلة الأطفال الجانحين، وفاء محمد عبد الجواد، مكتبة العبيكان الرياض، ١٤١٧هـ، ص: ١٢ - ١٣
- (٢٤) زهران حامد عبد السلام، الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب القاهرة، ١٣٩٤هـ، ص: ٥٠٠
- (٢٥) الهمشري محمد علي قطب، مشكلة الأطفال الجانحين، وفاء محمد عبد الجواد، ص: ٣٠ - ٣١
- (٢٦) ميشيل أرجايل، عبد الستار إبراهيم، علم النفس ومشكلات الحياة الاجتماعية، دار القلم الكويت، ١٣٩٨هـ، ص: ٩٨
- (٢٧) زهران حامد عبد السلام، علم النفس الاجتماعي، عالم المعرفة بيروت، ١٣٦٨هـ، ص: ٣٨٧
- (٢٨) الخشاب مصطفى، دراسات في الاجتماع العائلي، ص: ١٨٩
- (٢٩) الشيباني عمر محمد التومي، من أسس التربية الإسلامية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ١٤٠٢هـ، ص: ٥٢٤